مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:07/ العدد02 (2022) ص ص 237/218

انعكاسات الاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية

The Implications of Cultural Penetration on the Cultural Landscapes of Arab Societies

بوطورة حنان

مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية

جامعة سكيكدة (الجزائر)

h.boutora@univ-skikda.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:2022/01/22

تاريخ القبول:2022/04/26

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الثقافة
- ✓ الاختراق الثقافي
- ✓ الانتماء
- ✓ الواقع الثقافي

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على انعكاسات الاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية، وللإجابة على تساؤلات الدراسة وبلوغ أهدافها استخدمنا المنهج الوصفي. وتوصلت الورقة البحثية إلى أن الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية انعكس على الواقع الثقافي في صورة ظهور مشكلات التوافق النفسي والاجتماعي التي صارت من ملامح المجتمعات العربية المعاصرة يجسدها العديد من الأزمات كانتشار العنف وحالات الإحباط واليأس من إمكانية النهوض الثقافي وتشكيل الذات، وكذا أزمة الهوية حيث يعاني كثير من أبناء المجتمعات العربية اليوم من تشتت الهوية الثقافية، وهي أساس ما يعانيه الشباب من أزمات ثقافية، حيث ضعف الانتماء، وعدم الثقة بالذات والقدرات الثقافية، وما يتصل بذلك من حيرة وتجاذبات ثقافية بين الرغبات، والواقع الاجتماعي، وهو ما ينعكس على المستوى الاجتماعي في كونه يحول بين أفراد هذه المجتمعات والتحيز باتجاه فكرة أو جماعة أو أمة على أساس فكرة أو ثقافة جامعة، ويحول كذلك دون التواصل المطلوب مع مصادر الثقافة الأصلية.

Article info

Received :22/01/2022

Accepted :26/04/2022

Keywords:

- ✓ *Culture*
- ✓ *Cultural penetration*
- ✓ *Belonging*
- ✓ *Cultural reality.*

Abstract :

This study aimed to identify the implications of cultural penetration on the cultural landscape of Arab societies. To answer the study's questions and achieve its objectives, we used the descriptive approach. The study concluded that this cultural penetration is accompanied with the emergence of psychosocial problems such as: the spread of violence, frustration and despair and disillusionment in the possibility of affecting a cultural advancement and self formation and deep-seated identity crisis. Many Arab communities today suffer from cultural identity fragmentation, resulting in confusion and cultural divergence between aspirations and social realities. All these issues hinder the formation of a collective consciousness which is based on inclusive ideas which draws on the founding texts of Arab culture.

❖**مقدمة:** تمتلك الثقافة العربية من العناصر المشتركة ما يجعل منها نظاما مشتركا يوحد المجتمعات العربية من خلال هوية ثقافية مشتركة يفترض أن تحدد اتجاههم الحضاري وأهدافهم وطموحاتهم وكذا وسائلهم في تحقيق هذه الأهداف بما يحقق الانسجام بين واقعهم الملموس وعالم الأفكار والدلالات الذي يوجهه، وإن كان هذا المطلب ممكن في السابق فهو اليوم يواجه الكثير من التحديات العالمية التي أفرزتها العولمة كنظام ثقافي يسعى للهيمنة الثقافية على الثقافات العالمية والتي صارت تهدد انسجامه وتماسكه، خاصة مع ما صاحبها من تطور في مجال تكنولوجيا الاتصال الحديثة والتي صارت وسيلة العولمة لاختراق هذا النظام وتفتيته من الداخل من خلال ما تنقله من مبادئ وأفكار وقيم معايير تعارض العناصر المركزية لنظام الهوية الثقافية العربية.

وفي ضوء المفاهيم المعاصرة للهيمنة الثقافية العالمية برز مفهوم الاختراق الثقافي للتعبير عن الحركة النشطة التي يقوم بها الغرب من خلال النظام العالمي الذي يفرضه على باقي المجتمعات خاصة منها المجتمعات العربية بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية وأساليب التفكير لدى هذه المجتمعات يخدم مصالح وأهداف الجهات التي تمارس عملية الاختراق الثقافي ، وذلك بالترويج لنمط محدد وموحد من المبادئ والقيم والعادات وأنماط السلوك الغربية باستخدام كافة الوسائل المتاحة التي تعمل وتساعد على إنجاح هذا الاختراق، ولعل من أهمها اليوم تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي سهلت نقل هذه القيم والمبادئ والأفكار للمجتمعات العربية وعملت من خلال العديد من الآليات العملية على ترسيخها ضمن البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات خاصة ضمن البناء الثقافي الذي يعد ركيزة أساسية تتحكم في تسيير باقي مظاهر الحياة الاجتماعية في أبعادها الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.

كل ذلك أوجد تناقضات كبيرة في النظام القيمي للمجتمعات العربية المسلمة، نتيجة التعارض بين النظام القيمي للثقافة الأصلية والنظام القيمي الجديد وهو ما كان له اثر كبير في ظهور التناقض بين عالم الدلالة والممارسة للمعايير الاجتماعية عند الأجيال الجديدة، كما أوجد هذا الصراع القيمي في المنظومة الاجتماعية صراعا موازيا في منطلقات ومرتكزات مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة،الأسرة،وسائل الإعلام) التي لم تعد قادرة على التأسيس لمناعة ثقافية بالنسبة للأجيال الجديدة، وهو ما جعلهم يعجزون عن إنتاج رموزهم اللغوية ودلالات أفكارهم انطلاقا من مرتكزات هويتهم الثقافية، في مقابل شعورهم بسيطرة الثقافة الدخيلة على توجيه فكرهم وعملهم، وسببت الفروق الشاسعة بين الحاجيات الاستهلاكية التي تروج لها العولمة الاقتصادية التي تبنتها الأنظمة العربية خاصة تلك المستقلة حديثا في إعادة بناء مجتمعاتها وبين الإمكانات الواقعية حالة من الإحباط الاجتماعي الذي أوجد اللاستقرار الاجتماعي والسياسي بهذه المجتمعات .

ومن هنا تتأتى أهمية هذا البحث انطلاقا من طبيعة المتغيرات التي يعمل على دراستها خاصة في ضوء المفاهيم المعاصرة للهيمنة الثقافية العالمية وما أسفرت عنه من مفهوم الاختراق الثقافي للتعبير عن الحركة النشطة التي يقوم بها الغرب من خلال النظام العالمي الذي يفرضه على باقي المجتمعات خاصة منها المجتمعات العربية بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية وأساليب التفكير لدى هذه المجتمعات يخدم مصالح وأهداف الجهات التي تمارس عملية الاختراق الثقافي، خاصة وأن الثقافة تعتبر عملية صناعة وعي مشترك داخل الجماعة، والذي بدوره يعد بالغ التأثير في صناعة مواقف الحياة ويمكن أن يسبب تجاهل هذا الاختراق أزمة ثقافية بالإطار الثقافي للمجتمعات يمس مواردها البشرية والمادية ويجعلها معطلة أو شبه معطلة أين يسبب تجاهل وضوح القيم والمعايير الاجتماعية التي يقيم عليها الأفراد توقعاتهم ومتطلباتهم الحياتية بالمجتمعات العربية تحول التنوع الثقافي إلى صراع مرجعيات ثقافية بين النخب انعكس في صورة تشتت هوياتي لدى العامة والخاصة وعليه يشتغل هذا العمل على تحقيق الأهداف التالية:

- ✓ التعرف على عوامل تشكل معالم الفكر العربي المعاصر.
- ✓ التعرف على العمليات الأساسية للعولمة في تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية.
- ✓ التعرف على دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تحقيق الاختراق الثقافي للثقافة العربية.
- ✓ التعرف على الانعكاسات الثقافية للاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية.

وذلك من خلال إيجاد إجابة للتساؤل التالي:ما هي الانعكاسات الثقافية للاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية؟

وللإجابة عليه تم صياغة التساؤلات التالية:

- ✓ ما هي عوامل تشكل معالم الفكر العربي المعاصر؟
- ✓ ما هي العمليات الأساسية للعولمة في تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية؟
- ✓ ما هو دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تحقيق الاختراق الثقافي للثقافة العربية؟
- ✓ ما هي الانعكاسات الثقافية للاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية؟

وللإجابة على تساؤلات البحث وانطلاقا من طبيعة الموضوع والأهداف المصاغة يتضح المنهج الملائم لهذا البحث والذي اتبعناه وهو المنهج الوصفي.

❖ مدخل مفاهيمي:

- **مفهوم الخصوصية الثقافية:** تعدد مفهوم الخصوصية الثقافية بتعدد المناهج والمداخل الفكرية التي تقارب من خلالها كل مدرسة هذا المفهوم ونعرض منها:

✓ **مدرسة القيم/ الإجابات المشتركة:** عرفها البعض من أنصار هذا الاتجاه على أنها: "المحتوى الأخلاقي والفكري والجمالي الذي يوجه السلوك الفردي ويحدد الفعل الاجتماعي المشترك، لجماعة سكانية محددة".ويربط هذا المفهوم بين الخصوصية الثقافية بالقيم الثقافية المشتركة التي تجعلنا نميز ثقافة عن أخرى غير أنه لا يفسر التمايز الموجود داخل الثقافة الواحدة، وكان هذا الدافع لربط الخصوصية الثقافية بكونها اهتمامات مشتركة أكثر منها قيما مشتركة.

✓ **مدرسة القضايا / الأسئلة المشتركة:**يرى أنصار هذا الاتجاه أن انتماء مجموعة من الأفراد لثقافة ما لا ترجع لتشابه القيم التي تتبناها وإنما لتشابه القضايا التي يعتبرها جل أفراد هذا المجتمع أولى باهتمامه وتقديره، فالمجتمع الغربي تسوده قضايا يضعها على قمة أولوياته وتجسد قيم ما بعد الحداثة، لكن يقف أمامها المواطنون الغربيون بإجابات متنوعة، مثل حق الإجهاض، وحق المثليين جنسيا، فالقضايا واحدة ولكنهم حين يستجيبون لهذه القضايا ينقسمون إلى ثقافات فرعية وفقا للقيم التي يتبنونها، فالمحافظون أميل إلى رفض الإجهاض في حين يقبله الليبراليون.

- **مفهوم الاختراق الثقافي:** يذهب باسم علي خريسان إلى أن الفرق بين مفهوم الاختراق الثقافي والغزو الثقافي لا يمكن في الهدف وإنما في الوسيلة حيث أن الغزو الثقافي ارتبط بمرحلة السيطرة الأوربية المباشرة على العالم، في حين ارتبط مفهوم الاختراق الثقافي بالتطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات بعيدا عن استخدام القوة العسكرية. (أورد في: طالة، 2014).فحسب طالة (2014) فالاختراق الثقافي في تصوره هو مرحلة جديدة للغزو الثقافي لا يقف خلفها مدافع الاستعمار، ولا أجهزة الدعاية المقاومة للشيوعية، بل يقف وراءها التطور الهائل الذي عرفته وسائل الاتصال السمعية والبصرية، والتي مكنت من اختراق البيوت وممارسة الهيمنة الثقافية على بلدان العالم الثالث.ومن ذلك يكون الاختراق الثقافي هو:" حركة انتقال الأفكار والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات العربية، وما يماثلها في دول العالم الثالث، كما يمثل سياسة وإستراتيجية للتدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في ثقافتهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم، تدخلا كليا أو جزئيا بمختلف الوسائل".

▪**مفهوم الأزمة الثقافية:** يعرفها مالك بن نبي (2002) بأنها حالة يعيشـــها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية، فيكون في شـكل تكيف لا سـوي للأفراد داخل المجتمع نتيجة حرمانهم من جو ثقافي سليم، ويظهر على المستوى الفردي في شكل سلوكيات كالعزلة الاجتماعية والتقوقع والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع في شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوي مع باقي الثقافات. ويعرفها أيضـا على أنها: حالة تعيشـها حضـارة ما في مرحلة زمنية من تاريخها تعبر عن خلل على مســـتوى الالتزام القائم بين الفرد والمجتمع على أسـاس عقد الثقافة، حيث تغلب مصـلحة طرف على آخر. ويشـير مفهوم الأزمة الثقافية عند كارل ماركس إلى حالة من الشـــعور بفقدان قيمة الذات التي تعيشـــها طبقة البلوريتاريا داخل المجتمع الرأسمالي أين تكرس الطبقة المسيطرة كافة أنظمته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل الحفاظ على الســلطة والقوة التي تقهر من خلالها طبقة العمال، وتســتند في ذلك إلى امتلاك وســـائل الإنتاج، الأمر الذي يجعل طبقة العمال وعائلاتهم يعيشـــون بالاغتراب في كافة مناحي الحياة(أورد في: وابل، 2013).

في حين يرى استوكلز بأن الأزمة الثقافية هي نوع من الخبرات التي يحملها الأفراد ويمرون بها مع أنفسهم أو مع الآخرين ولا تتصف بالتواصل والرضا، ويصاحبها كثير من الأعراض هي العزلة والتمرد والرفض والانسحاب والخضوع.(أورد في: أبو شعيرة، 2013).

وتعرف الأزمة الثقافية أيضـــا حســـب هدهود (2012) بأنها انفصـــال الفرد عن النظام الاجتماعي، وأســـلوب الحياة المتبع في بيئته الثقافية نتيجة الاعتقاد بعدم جدواها في تحقيق متطلباته، والاعتماد على مرجعية ثقافية تســـتند إلى ثقافة أخرى في تســـيير أمور حياته وتحديد اتجاهاته وتصوراته لجوانب الحياة المختلفة، مما يسبب عجزه عن المشاركة الفعالة في التصورات المستندة إلى الموروث السائد في ثقافته، فتظهر عليه أعراض سلوك لا سوي كالانسحاب والعزلة الثقافية والعجز الثقافي واللاّمعيارية.

وتأسيسا على التعريفات السابقة يمكن تحديد مفهوم الأزمة الثقافية في هذا البحث بأنها: حالة من التضارب في المرجعية الثقافية وغياب ثوابت بالفضاء السوسيو ثقافي للمجتمعات العربية توجه حياة الأفراد النفســـية الاجتماعية بمختلف مجالاتها، وهو ما ينتج عنه ســـلوكيات تبني معايير استهلاكية سريعة ووقتية تتسم بغياب البعد الاجتماعي وتعبر عن غياب المعنى في حياتهم الفردية والاجتماعية والعجز عن التواصل مع معايير ثقافتهم الأصلية.

❖ عوامل تشكل الفكر العربي المعاصر:

▪**الفكر العربي قبل اصطدامه بالغرب:**أشار الجندي (د.ت) أنّ الفكر العربي الإسلامي قبل اصطدامه بالغرب كان يعيش في منبته ويغلب عليه الضعف والانطواء والركود، نتيجة المرحلة التي مرت بها الدولة العثمانية خلال القرون الثلاثة الأخيرة بعد دخولها مرحلة الضعف، أين أصبح يطلق عليها تسمية الرجل المريض، وهي ذات القرون الثلاث التي دخلت بها أوربا معركة النهضة أين بدأ العلم التجريبي يسيطر على الحياة الاجتماعية والتي تحررت من سيطرة الكنيسة وفكرها، ومن ثمة كانت الثورة الفرنسية سنة 1789، التي اعتبرتها أوربا قمة انتصاراتها في طريقها للحرية، ومن خلالها ظهرت عوامل الاحتكاك بين الشرق والغرب التي بدأت بالاستكشاف ثم التجارة ومن ثم الاستعمار.

▪ **الفكر العربي بعد اصطدامه بالغرب:**ويضيف الجندي (د.ت) في نفس السياق بأنّه كان الاتصال الثاني للشرق بالغرب بعد مضي أربعة قرون على نهاية الحروب الصليبية 1291،وقد كانت الحملة الفرنسية على مصر أول حركة استعمارية للعالم العربي، حيث جلبت الحملة الفرنسية على مصر في أوائل القرن التاسع عشر حضارة باهرة للوطن العربي فتح عينه عليها ثم ما لبث أن واجهها ولم يقبلها إلا بتحفظ، وكانت هذه الحضارة والثقافة التي حملها من أكبر أسلحة الغزو والاحتلال وأعمقها، فكان من ضمن مخططات الاستعمار السعي إلى القضاء على الحياة الفكرية العربية الإسلامية من خلال إحلال الثقافة الغربية محلها، فحارب مقومات الهوية العربية الإسلامية بهذه المجتمعات من لغة وتاريخ ودين، كي يمكن لنفسه البقاء الطويل.

ومن خلال مواجهة المجتمعات العربية الإسلامية لحملات التغريب التي شنها الاستعمار تغير الفكر العربي الإسلامي من فكر إسلامي خالص إلى فكر قومي وطني، وعلى الرغم من محاولة الاستعمار استغلال ضعف العالم العربي الإسلامي اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفكريا للسيطرة عليه إلا أنه لاقى مواجهة كبيرة، وكان هدف الفكر العربي الإسلامي في هذه الفترة هو تجديد الفكر الديني، وكشف معالم الثقافة العربية الإسلامية الأساسية.

أما في مرحلة الاستعمار فقد كان من أهداف الاستعمار أن ينجح بقوته وأسلحته وجيوشه في فرض ثقافته وحضارته فرضا كاملا، ومسخ الثقافة العربية والفكر العربي الإسلامي نهائيا، ليقضي على أصوله وجذوره وتراثه ومعالمه الأولى، غير أنه وجد مقاومة حالت دون هذه الغاية على الرغم من الأسلحة التي كان الاستعمار مدعما بها إضافة إلى العملاء من المفكرين والسياسيين ولم يكن يردها إلا صلابة القوى العميقة الإيمان بشخصيتها وتراثها وقيمها، لذاك قام معسكر للدفاع عن الكيان الفكري العربي ورد موجه الإدماج.

ومع فشل معركة الإدماج بدأت معركة التغريب، وهي أكثر قوة لأنها غير مكشوفة، ولكنها خفية تنفذ من خلال برامج التعليم ومناهج البحث ويسيطر عليها الاستعمار من عدة نواحي، عن طريق الصحف والكتب والسينما والإذاعة، وكانت مرحلتها الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1944.

❖ العولمة وعملياتها الأساسية في تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية:

- **العمليات الأساسية للعولمة في تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية:**أشار ليلة (2012) أنّ العمليات الأساسية للعولمة في تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية تتمثل في:

- ✓ تسعى العولمة إلى إعادة تشكيل العالم وفق إيديولوجيا ونموذج محدد هو النموذج الأمريكي أساسا، في محاولة جعل ما هو خاص بأمة معينة، ينطبق على المجتمعات العربية كما ينطبق على العالم بأسره، حتى يتخلق تجانس عالمي تنساب عبره السلع المادية والمعنوية.
- ✓ تعمل العولمة على تحقيق ذلك من خلال تفكيك العالم بعزل جماعات المجتمع عن بعضها البعض، حتى يصبح المجتمع أقليات متفرقة.
- ✓ تحول العالم إلى قطعة صغيرة في نظام عالمي شامل، ليتخلق فضاء بلا حدود تنتشر عبره الصور والمعلومات والتكنولوجيا، التي يقدمها منتج قوي إلى مستهلكين ضعفاء، ينتظرون ما يقدم إليهم دون اعتراض، فيحصل على ما يريد دون منازعة.
- ✓ تستهدف العولمة تحقيق عالم متشابه ومتجانس يستخدم ذات التكنولوجيا ويستهلك ذات السلع، ويستوعب ذات الأفكار، لتكوين سياق أمان واستقرار كامل يحيط بالقوة الرئيسية بالعالم وإيجاد بيئة محيطة موائمة لها.
- ✓ إن هذا العالم الذي يفترض تجانسه يتباين إلى شطرين، شطر يضم الفقراء والمستهلكين والجهلة والعاريين من المعلومات في مقابل آخر يضم قلة على مستوى العالم من الأغنياء والمنتجين للسلع الذين يمتلكون المعلومات، ويحتاج القسمان كل للآخر، وتقوم بينهما رابطة عضوية تجعل وجود كل منهما مرتبط بالآخر.
- ✓ تعمل العولمة على تجسيد أيديولوجيتها على خريطة العالم من خلال آليات عديدة أولها الآليات الاقتصادية كالتدفق المباشر لرأس المال الأجنبي والشركات المتعددة الجنسيات، وثانيهما سياسي من خلال الاتفاقيات الدولية، والضغط بوسائل عديد داخلية وخارجية، على الدولة القومية، والثالث ثقافي من خلال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي أصبحت لها فاعليتها وقوتها في الفترة الأخيرة، والعسكري إذا لم تنجح الآليات السابقة، كما قد تستخدم هذه الآليات متفرقة أو مجتمعة حسب ما يستدعيه الوضع.

ومن خلال ذلك كان للعولمة آثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على دول والمجتمعات في العالم الثالث عامة والمجتمعات العربية وفيما يتعلق بالمجتمعات العربية فهي تهدف إلى ثلاثة أهداف أساسية هي:

- ✓ إضعاف الثقافة القومية العربية، والتي يشكل الدين قاعدتها الأساسية.
- ✓ إضعاف الرابطة التي توجد بين المجتمعات العربية.
- ✓ تفكيك المجتمعات القطرية من الداخل إلى أقلياتها التي تشكلها.

▪**دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة كآلية للعولمة في تحقيق الاختراق الثقافي للثقافة العربية:**أشار هوبر (2011) أنّه من خلال قيام الاتصال العالمي في المرحلة المعاصرة على عدد من تكنولوجيا الاتصال الحديثة المتقدمة، جعل الانترنت والبريد الالكتروني والفاكس والتليفون المحمول والرسائل النصية في ظل العولمة الإعلامية والاتصالية من الاتصال سهلا بأجزاء مختلفة من العالم، كما أن التوسع الهائل والسريع في المعلومات على الانترنت مكن الناس من الوصول اللحظي غير المسبوق للمعلومات الذي نتج عنه ارتفاع كبير في حجم تبادلها في العالم، يضاف إلى ذلك الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي عملت على دمج أشكال مختلفة من وسائل الاتصال الحديثة، التي عززت قوة عولمة الميديا بظهور عدد من مؤسسات الميديا العملاقة متعددة الأنشطة مثل " ديزني" و" سوني" ،" برتلزمان" و" جنرال إليكتريك"،" نيوز كوربوريشن" تركزت ملكيتها في يد قلة من المؤسسات العملاقة بصورة تمكنها من اقتسام صناعة الترفيه والتسلية من خلال قدرتها على التمويل والإنتاج والتسويق والتوزيع لمنتجاتها سعت الثقافة الغربية إلى اختراق الثقافات الأخرى ومن بينها الثقافة العربية لدمجها ضمن السوق الاستهلاكية لها.

ويرى أمين (2009) بأنّه كان لمشروع التحديث الغربي الذي روجت له من خلال وسائل وتكنولوجيا الاتصال الحديثة أثر بين على المنظومة الثقافية العربية والخطاب الإسلامي أين جعلتهما يواجهان أزمة الاندماج بالحضارة المعاصرة ما سبب انقسام مشروع النهضة العربية إلى مشروعين .

الأول: يعتمد المرجعية الحداثية، ويقوم على الفصل التام بين الديني والدنيوي.

الثاني: يقوم على المرجعية الإسلامية التي تقبل منجزات الحضارة الغربية وتزعمه الأمام محمد عبده.

وكان نتيجة لها ظهور تصوران رئيسيان لهذه العلاقة بين الغرب والعرب الأول يرى في هذه العلاقة ضرورة للتقدم والتطور المستمر وهو ما يربط رؤيته بالبعد الاقتصادي والتكنولوجي لهذه العلاقة.

في حين يرى أصحاب التصور الثاني أن العلاقة بين العرب والغرب كانت وستبقى علاقة استغلال ومقاومة لهذا الاستغلال وأن المنظومة الفكرية والثقافية التي روج لها الغرب في إطار نظام العولمة الذي يقفز على مفهوم الوطن والأمة والقومية ويكرس التشتت والتفرقة وما هي إلا مؤامرة من أجل ضرب جذور

الهوية العربية الإسلامية الداعية للاجتماع وإحلال ثقافة العزلة والانفصال وبالتالي التفرقة التي تمكن للغرب اختراق الثقافة العربية وإلغائها نهائيا وجعل المجتمعات العربية مجرد سوقا استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية الفكرية والمادية.

كل ذلك جعل الخطاب العربي الحديث والمعاصر حسب محمد عابد الجابري لا يعكس الواقع العربي ولا يعبر عنه، بل إنه إما مستعارا من الفكر الأوروبي وإما الفكر العربي الإسلامي الوسطي، وفي كلتا الحالتين فإن مفاهيمه توظف للتعبير عن واقع مأمول غير محدد(أورد في: الحمد، 1999).

✓ **الانعكاسات الثقافية للاختراق الثقافي على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية:**يمكن أن نرصد بعض انعكاسات الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية والتي كان لتكنولوجيا الاتصال الحديثة الدور المحوري فيها ومنها ما أشار إليها تي هول (2007) وهي:

- **تشتت الهوية الثقافية لدى الشباب العربي:**تعطي الثقافة للفرد إنسانيته فمن خلالها يتمكن الفرد يرسم الفرد قواعد التواصل مع الآخر سواء كان داخل حدود انتمائه الجغرافي، أو الانتماء الإنساني له، يقول **ادوارد تي. هول:**"إن الثقافة تتحكم بالسلوك بطرق متعمقة ومستمرة، والعديد من هذه الطرق هي خارج الإدراك وبالتالي بعيدة عن سيطرة وعي الفرد".

وقد أفادت الحضارة الغربية من التقدم العلمي والتكنولوجي في نشر ثقافتها المادية، وذلك من خلال ما تبثه وسائل الإعلام وتذيعه من أفكار غربية سواء عن طريق مقالات في الصحف أو مسلسلات في الإذاعة والتلفزيون، أو إعلانات عن منتجات وخدمات تقدمها للناس في بلدانهم، فضلا عما ينشر عن طريق الأقمار الصناعية وشبكات الانترنت.

وتظهر خطورة هذا الاتجاه في المجال الخارجي والداخلي، فالمجال الخارجي عملت أجهزة الإعلام الغربية على الحط من الثقافة العربية وتشويه صورتها عالميا، حيث تصنع صورة نمطية عنها كونها ثقافة تعصب وتخلف وإرهاب، أما المجال الداخلي فالصورة أكثر سوادا، حيث تركز أجهزة الإعلام الغربية على التقدم العلمي والتكنولوجي للغرب وفي المقابل تربط بين تخلف الثقافات الأخرى وخاصة العربية وبين تمسكها بالدين.

ومن خلال هذه الآليات عملت على زرع عقدة النقص في الأجيال الجديدة خاصة فئة الشباب العربي، وأوجدت لديهم فقدان الثقة بالنفس ورسخت في وجدانهم أن السير على درب السلف سمة تخلف وانحطاط، والتمسك بالتراث تحجر وجمود، وأن سبيل الإصلاح والتقدم ينحصر في الأخذ بأساليب الحضارة الغربية قلبا وقالبا، فنشأ أجيال ينتمون إلى غير ثقافة آبائهم وأجدادهم،

ويباهون بولائهم الفكري لأمة غير أمتهم، وهو ما جعل معالم الثقافة العربية الإسلامية لدى الأجيال الجديدة وخاصة فئة الشباب تصاب بالتصدع والتفسخ، وأوجد لديهم أزمة في الهوية الثقافية عبر عنها حالة الاغتراب الثقافي لديهم.

ويعبر التشـــتت في الهوية الثقافية حســـب مالك بن نبي (2002) عن أزمة تنتج من اختلال في الالتزام بالعقد الثقافي بين الفرد والمجتمع.

ويعبر تشـــتت الهوية الثقافية للشـــباب العربي عن أزمة في الواقع الثقافي للمجتمعات العربية تؤثر على الهوية الفردية للأفراد يقول عنها حســـن حنفي في وصـــف أزمة الهوية الثقافية داخل البلدان المســـتقلة حديثا والتي أخذت بالمنطلقات الفكرية للمســـتعمر بعد استقلالها:" لقد هدمنا كل شيء، وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هناك قضية يمكن الدفاع عنها، ومن ثمة استحالة تربية المواطن، وصعب إيجاد إطار مرجعي يمكن الرجوع إليه، أو معيار يمكن القياس عليه، ولقد أنهينا كل شـــيء بأيدينا، وحطمنا مثل أجيال عديدة، وهززنا قناعات ربينا عليها، وراحت ضحيتها ألوف الشهداء، ما دافعنا عنه في الماضي أصبح موضوع شك وعدم اكتراث مثل الاســـتقلال الوطني، ما حاولنا التخلص منه في الماضـــي بما في ذلك التخلص من المســـتعمر وطرد المحتل أصـــبح الآن موضـــوع نداء واســـتجداء، لقد انقلبت الموازين رأســـا على عقب، وتحولنا مائة وثمانين درجة من الشـــيء إلى نقيضـــه".(أورد في: سميث وهور، 1991).

▪ **انتشار الثقافة الجماهيرية وتدمير منظومة القيم المحققة للوحدة الاجتماعية بالمجتمعات العربية:** أشار ماتلار (2008) أنّ من بين أحد المفاهيم الأولى للنظرية النقدية حول الثقافة الجماهيرية هو مفهوم الصناعة الثقافية، والذي جاء به سنة 1944 فيلسوفا مدرسة فرانكفورت تيودور آدورنو وماكس هوركهيمر ويشير إلى نظرتهما إلى أن الثقافة تم تسليعها، وأن تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة سوقية قد أدى إلى فقدان قوته الناقدة وذوّب فيه آثار تجربة أصيلة، وقد استندا في صياغة هذا المفهوم إلى معاينة حركة عامة لإنتاج الثقافة والتشابك بينها وبين التكنولوجيا الحديثة والسلطة والاقتصاد.

ويقول ماكدونالد عنها:"الثقافة الجماهيرية فرضت من الأعلى حيث جرى تصميمها بواسطة التقنيين وجرى اســـتتجارها من جانب رجال الأعمال، أما المتلقين لها هم من المســـتهلكين الانفعاليين والمغلوبين حيث أن هؤلاء مشـــاركتهم مقيدة للاختيار بين الشـــراء أو عدمه، المســـوقون لهذه الثقافة إنما يســـتغلون الحاجات الثقافية الجماهيرية لغرض جني الأرباح أو لغرض الحفاظ على السيادة الطبقية لهم".

ويرجع ماكدونالد قوة تأثيرها إلى أسباب هي:

- ✓ تتميز بسهولة والسطحية مما يشجع العامة من الناس على اقتنائها مثل كالقصص البوليسية المسرحيات التي صنعت بطريقة مبسطة في محاولة لبيع حقوق الأفلام فلو كانت المسرحية شديدة التعقيد من حيث صعوبة تحويلها إلى فيلم وسوف يصعب تسويقها.
- ✓ إن أشـكال الثقافة الجماهيرية كانت تأخذ أسـلوبا ابتكاريا زائفا كي تبدوا أكثر أهمية مما هي عليه في الواقع من الناحية الفنية لذلك أصبح التمايز بين الثقافة العليا والثقافة الجماهيرية أكثر صعوبة بعدما تحطمت الحدود بينهم.
- ✓ تنتج بكميات كبيرة وعلى مستويات واسعة تحاصر الجماهير.

ويقول ماكدونالد "إنها تهدد الثقافة العليا بسـبب انتشـارها الواسـع وكمياتها الهائلة والمخيفة فالطبقة العليا التي بدأت في استعمال هذه الثقافة لتوليد النقود من الأذواق السخيفة للجماهير ولكي تسيطر عليهم سياسيا انتهت لتجد أن ثقافتها الخاصة تتعرض للهجوم بنفس الأداة التي طورتها هي بغباء".

واعتقد ماكدونالد أن انتصار ثقافة الجماهير سوف تقود إلى زيادة الاغتراب الثقافي بين من صنعوا المنتجات الثقافية فهناك المزيد من تقسيم العمل في الإعلام مثل السينما عند مقارنتها مع المسرح حيث حاولوا تضليل الأفراد لكي ينفذوا مهمات ميكانيكية ترتبط بمظهر صغير من الفيلم وقد عدد ماكدونالد سلبيات الثقافة الجماهيرية التي تجعلها سببا في الاغتراب الثقافي والبعد عن العلم والمعرفة في سبيل تحقيق الأرباح المادية كالتالي:

- ✓ تشكل تهديدا لثقافة النخبة أو ما يسميه الثقافة العليا فالهدف منها هو تجاهل أو ابتذال الثقافة العليا.
- ✓ هي أداة لتحقيق الدكتاتورية بتغييبها للفكر والثقافة الحقيقية.
- ✓ توجد وعي سخيف وزائف بالمتعة لدى الجماهير.
- ✓ هي ليست مجرد ثقافة يختارها الفرد إنما هي سيطرة سياسية أيضا.
- ✓ خلق حالة من صبيانية البالغين إن صح التعبير حيث أن البالغين الأمريكان يقرؤون بشكل متزايد الرسوم السافرة في الصحف ويشاهدون برامج تلفزيون المخصصة للأطفال يصبحون فيها غير قادرين على مسايرة حياة البالغين دون الهروب إلى الثقافة الجماهيرية لغرض التسلية وكذلك إيجاد أطفال يقِضين أكثر من اللازم فقد صار بإمكانهم مشاهدة الأفلام الموجهة للبالغين في السينما أو التلفزيون.
- ✓ الثقافة الجماهيرية تقوض النسيج الاجتماعي فهي تخلق مجتمع جماهيري يصبح فيه الأفراد ذرات متناهية حيث يفقدون التزامهم تجاه الجماعة ويصـبحون غير قادرين على التفاعل مع بعضـهم

بطريقة ناجحة وبدلا من ذلك يصـــبح الناس منعزلين مرتبطون فقط بأنظمة مركزية ومنظمات كالإعلام الواسع والأحزاب السياسية والشركات(أورد في: طالة، 2014).

كما رأى ليفس أن الثقافة الجماهيرية من مسـببات وأيضـا أهم مظاهر الأزمة الثقافية لما توجده من انحطاط الثقافة والذوق العام للجماهير، ويشـــير إلى أنه في الماضـــي كانت الثقافة المتعالية التي تبعث الحياة في الفكر وتشـــجع على الإبداع في متناول الجميع وليســـت النخبة المثقفة وحددها من تشـــاهد المسرحيات الراقية مثل مسرحيات شكسبير بل حتى الجماهير العامة، وكانت هناك دائما تلك القلة المتميزة بالذوق الرفيع الذي تميز به بين الجيد والرديء من الفن، أما في الثلاثينات فيقول أن تغير الوضـــع جعل أذواق العامة من الجماهير والنخبة على حد سـواء مهددة بثقافة جديدة سـميت بثقافة الجماهير وهي ثقافة اسـتهلاكية وقتية تشـجع على الكسـل الفكري وأصـبحت تلقى رواجا بين العامة لسـهولتها ولأنها لا تتطلب جهد فكري كبير وحلت السـينما بما تروج له من إغراءات عاطفية رخيصـــة محل الفن الراقي فانتكســت الأذواق ولم تعد قادرة أمام الكميات الهائلة التي تفرزها ثقافة الجماهير على التمييز بين الجيد والرديء فلم يبقى إلا قلة قليلة لازالت تحافظ على سلامة الذوق في وجود هذه الثقافة الجماهيرية.

وما يزيد من حدة المشكلة بالنسـبة له هو التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسـارعة، فالأضـرار التي لحقت الثقافة كانت نتاج التحديث وظهور التســلية الســلبية التي لا تشـــجع الناس على التفكير(أورد في: هولبورن، 2010).

وأشـار هانز شـتيفر إلى أن الثقافة الاسـتهلاكية في القرنين 19 و20 جعلت الثقافة تتحول من وعي بالحياة إلى تكديس للمعلومات من أجل التوظيف العملي، فهي لا تقدر على قيادة الإنسـان لبلوغ الحضـارة لأنها لا تنمي فكرا ولا تمنح للإنسـان وعيا بمشـكلاته بقدر ما تزيدها، لأنها ثقافة اسـتهلاكية تراكمية ركزت على الكم وأهملت الكيف، فنحن اليوم نعيش ركود ثقافي ذو بريق مخـادع يوهمنـا أننـا في قمـة الثقافـة والحضـــارة، ويقول في ذلك: "وحين صـــارت الثقافة تحصـــيل المعلومات لم تعد وعيا بل عملية تجميع والخوض في التطبيق العملي". (أورد في: كامل سقاوي، 1988).

ويرى فيذرســتون(د.ت)أنّه ومن خلال ذلك يكون الاســتهلاك ضــمن الثقافة الجماهيرية ليس فعلا معزولا وإنما هو تعبير عن الصـــلة الصـــريحة التي صـــارت بين الذات والاســـتهلاك، بحيث يتم ترتيب مجموعة من المنتجات التي يتم استهلاكها وتعريف الذات من خلالها، فيصبح بذلك جانبا من إستراتيجية ثقافية أوسع نطاقا لتعريف الذات والحفاظ عليها.

ويعرف جمال العيفة الثقافة الجماهيرية في كتابه "الثقافة الجماهيرية عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق" بأنها "المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الاتصال والإعلام لدى الجماهير الواسعة

وبصفة اصطناعية وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة.

كما يقول "إدغار موران"عن ظهور مفهوم الثقافة الجماهيرية" عندما بدأت التفكير حول مصطلح الثقافة الجماهيرية، ظهر لي شيئان: الحداثة التي جلبتها للثقافة المشتركة، والتي يطلق عليها تزامن الثقافة الجماهيرية، ومما يعني القدرة على احتواء مختلف المستويات الثقافية، ومختلف الأشياء ذات الأصول المختلفة، ومن جهة أخرى مختلف العلاقات الداخلية التي تربطها الثقافة الجماهيرية مع الخبرة الشخصية، ما تجلبه الثقافة الجماهيرية هو الامتداد المعتبر للخبرة الشخصية، وبالأخص بعد مختلف للإثارة.

ووصفها أبو أصبع بأنها ثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير، كما أن الرسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية، هي رسائل غير موجهة إلى طبقة بث موحدة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد(أورد في: تومي، 2017).

وقد حدد العياضي خصائص الثقافة الجماهيرية فيما يلي:

ـ إن الخطاب عن الثقافة الجماهيرية خطاب مثقفين الذين يعيشون في الثقافة الجماهيرية

ـتشمل منتجات الراديو، التلفزيون، السينما، الكتب، الجرائد والمجلات؛ أي كل المنتجات المقدمة للجمهور بقنوات جماهيرية مرتبطة بمفهوم الترفيه، وفي هذه الحالة لا تشمل كل المنتجات الجماهيرية؛ بل الأفلام، الألعاب ...، أنها تشمل ما يخرج عن نطاق ما نسميه عادة بالإعلام السوسيو–اقتصادي والسياسي.

ـ إنه خطاب يتطور بمعية خطاب آخر، خطاب المجتمع الجماهيري، حيث توجد في الخطاب عن الثقافة الجماهيرية بشكل ضمني أو مستتر طريقة لإدراك وفهم الكيان الاجتماعي أو على الأقل بعض الفرضيات حول طبيعة النظام الاجتماعي الذي تتطور فيه الثقافة الجماهيرية فهي ترتبط بالتحول والتغيير في المجتمع.

ـ تتميز بالظرفية والسطحية.

وقد كان لهذه الثقافة الاستهلاكية التي روجت لها الحضارة الغربية من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة أثرا في تغير أنماط الحياة وسبل العيش بالمجتمعات العربية التي انخرطت بصورة أكبر في النزعة الاستهلاكية ومنتجات الثقافة الاستهلاكية(أورد في: تومي،2017).

وأشار أمين (2009) بأنّه ونتيجة لذلك أصبح العرب بالمجتمعات المستقلة حديثا اليوم يعيشون نمط حياة مختلف عن ما كانوا عليه من قبل، يأكلون طعاما مختلفا ويرتدون أزياء مختلفة، ويتكلمون ويفكرون بطريقة مغايرة، ويطمحون لتحقيق أهداف وغايات وحاجيات لم تكن لتخطر على بالهم من قبل، فتناسوا وتنازلوا على أحلامهم وطموحاتهم هم ليركضوا وراء حاجيات وأهداف لا تنتمي لهم وهذا ما جعلهم يغرقون في عالم الأشياء وتكديس الأشياء واستهلاك منتجات الحضارة الغربية بهدف تحقيق التنمية السريعة الشكلية

والوهمية بدلا من إنتاج خطهم الحضاري والتقدمي بأنفسهم وانطلاقا من أفكارهم وخياراتهم الخاصة، حيث تم تنميط حاجياتهم لترى في منتجات الثقافة الاستهلاكية المادية للغرب الحل الوحيد والطريق الأمثل لبلوغ التقدم والتنمية، ومنه فإن ما يتم عولمته من ثقافة استهلاكية من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة ليس إلا عولمة لسلع وخدمات لا تزيد المجتمعات العربية المستهلكة لها تحضرا بقدر ما تضرب في جذور ثقافتها الحقيقية لتلغيها وتحل محلها ثقافة سطحية ومتدنية الذوق لا تنتج بالفعل أي نمو وتقدم بقدر ما تزعزع أي محاولة للتنمية لأنها تركز على حاجات جانية تستنزف إمكانياتها ولا تمكنها من الاستثمار في الثقافة الحقيقة المنتجة فعولمة الهامبرجر والكوكاكولا والتلفزيون والنوع الهابط من الأفلام والمسلسلات والملابس وكذا وسائل الترفيه والمواصلات وتنميطها في ذهن المستهلك على أنها غاية الوجود الحقيقي وأنه لا يمكنه الاستغناء عنها لا تنتج في الحقيقة أي نوع من التقدم الحقيقي فالمجتمعات التي تستهلك هذه المنتجات على أنها واقع الحضارة لا تصبح متحضرة بالضرورة ولا قادرة على تحمل أعباء الحضارة وإنتاجها بقدر ما تنغمس في تكديس الأشياء التي ستنتهي بها إلى الإفلاس الاقتصادي والحضاري، وما عملت عليه تكنولوجيا الاتصال الحديثة من أجل اختراق الثقافة بالمجتمعات العربية عن طريق ما تروج له من ثقافة استهلاكية متدنية، لم ينجح لأنها تمثل منتجات الحضارة أو التقدم العلمي والتكنولوجي بالغرب، بقدر ما كان السبب الحقيقي هو عملها على خلق نوع من الالتزام النفسي بتبني واتباع نمط حياة معين لدى هذه المجتمعات يلزمها بهذه المنتجات على أنها الممثل الوحيد للحضارة وبالتالي منع أي تفكير في إمكانية أن تكون هذه المنتجات الفكرية والثقافية ذات الطبيعة الاستهلاكية والتي ترفع من معدلات الاستهلاك وليس التنمية احتمالا من الاحتمالات الممكنة للحضارة وليست مبدأ ومنتهى الحضارة.

وأدى هذا التحول بالبناء الثقافي للمجتمعات العربية من الحالة التقليدية وما تحمله من قيم صـــلبة إلى الحالة الاســتهلاكية إلى تغير في كافة ميادين الحياة الاجتماعية ويجسـد ذلك حالة الصــراع القيمي والمرجعي الذي تعيشـــه هذه المجتمعات وما نتج عنه من حالة عدم الاســـتقرار الثقافي إذا تجمع الثقافة العربية اليوم بين ثقافات متباينة تقليدية وأخرى حداثية فأوجد وهذا نوعا من الفوضـــى الفكرية والصــراعات بين اتجاهات متعددة طالت النخب قبل العامة، فتحولت المصـلحة العامة والمشـتركة إلى صـراع وتراشـق بالتهم بين من يحملون شعارات الصحوة والتقدم ولا يوجدون في واقع الأمر إلا مزيدا من الدمار، إذ أن هذا الصـراع جعل الغاية عند كل من الاتجاهات المتباينة تبرر الوسـيلة، إضـافة إلى أنه لم يعد يقتصـر على أصـحاب الاتجاهات المتعارضـة، إنما أضـيف له الصـراع الداخلي بين أصـحاب الاتجاه الواحد مما سـبب إرباكا في الإطار ثقافي الذي يخبر بشيء ويفعل نقيضه متى ما تعارض مع المصالح الشخصية .

ويقول برهان غليون (1986) في ذلك: "قد بدأ التغيير في البنى الاجتماعية والفكرية، بما فيها البنية الذهنية، مع بداية الصـــدام مع الغرب وخلال الحرب الطويلة التي أعقبت ذلك ولهذه الحرب بين الشرق والغرب مضمون اجتماعي وتاريخي".

كما يرى أيضـــا أن أخذ الســياســـات العربية بإطار التفكير الغربي بعد الاســتقلال أدى إلى تفكيك الثقافة كبنية اجتماعية، وفكك القاعدة الثقافية المشـــتركة فأوجد محلها ثقافات فئوية وفردية ترتبط بالدفاع عن مصـــــالح أيديولوجيات فردية أو فئوية متصـــــارعة فيما بينها، وحينما تم ربط الثقافة بالأيديولوجيات الفردية تفقد بعدها الاجتماعي فانقســـم المجتمع إلى فئات وأفراد لكل قيمه ومرجعيته التي تســـعى إلى السيطرة الاجتماعية وهذا بالنسبة له سبب كل تخلف وتشتت في الهوية يقول:" إن نقد "التخلف" الفكري والثقافي السائد: المحافظة من جهة والتغريب من جهة ثانية، يتطلب نقد السياسة الثقافية المتبعة من قبل الحكومات، والمسابقات الفكرية، والأطروحات النظرية التي سندت هذه النظريات ومازالت تؤسس لها".

وقد ذهب جيرار ليكلرك (2004) إلى أن الإيديولوجيات العلمانية أوجدت جماعات اجتماعية وثقافية فصـلت الدين عن المجتمع لتجعله شـئنا خاصـا وفرديا أي أنها سـحبته من الوعي الجمعي داخل المجتمعات لتحل محله العلوم الوضعية والآراء الفردية.

- **انعكاس التوازي بين القيم الثقافية والســـلم الاجتماعي في الحراك الاجتماعي:**لعلا من أبرز وأخطر تداعيات الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية المســـتقلة حديثا كما يراها مالك بن نبي (2002) هو انعكاس التوازي الذي يقوم عليه الحراك الاجتماعي بين ســـلم القيم الثقافية والســـلم الاجتماعي في هذه المجتمعات حيث أنهما يسـيران في المجتمع المتوازن في اتجاه واحد من الأسـفل إلى الأعلى فكلما ارتقى الفرد في ســلم الثقافة لازم ذلك ارتقائه في الســلم الاجتماعي وتكون المراكز الاجتماعية موزعة بحســب درجات الثقافة، أما في هذه المجتمعات التي تعاني أزمة ثقافية فإنه انعكس اتجاه الســلمين انعكاســا كليا بحيث أصـبح الأفراد الذين هم في قاعدة المجتمع أثرى ثقافيا على الأقل من الناحية الأخلاقية من قيادات المجتمع، وبلوغ المجتمع هذه الدرجة من الأزمة الثقافية يجعله يصـــبح عاجزا ثقافيا عن إنتاج الأفكار والمعاني التي يواجه من خلالها مشـكلاته داخل حدوده لأن الذين من ينتجون الأفكار في قاعدة المجتمع لا يسـتطيعون بلوغ أماكنهم المفترضـة في قيادة المجتمع نحو الإبداع والإنتاج فتلجأ القيادة العاجزة ثقافيا إلى اســـتيراد الأفكار الجاهزة من مجتمعات تختلف عنه في أطر الثقافة القائمة مما يزيد في حالة الأزمة الثقافية داخل المجتمع، حيث لا يعود المجتمع قادرا على التعايش مع باقي الثقافات إلا من منطلقين متناقضين كل منهما أسوء من الآخر فالأول منطق التقوقع والتعصب الثقافي والثاني الانهزامية أمام ثقافة الآخر، فالأول يعرض الشخصية للتلف وعدم النمو والثاني يعرض الكرامة للمهانة.

يؤكد ارنولد هذا التوجه من خلال اعتباره من أهم مظاهر الأزمة الثقافية في المجتمع البريطاني بالقرن19 هو التركيز على الحياة المادية وجمع الثروة في مقابل إهمال الجانب الفكري حتى أصـــبحت الحضـــارة توازي الثروة والإنســـان المتحضـــر ليس من يملك مقدارا رفيعا من المعرفة بأفضـــل المعتقدات الســـائدة في العالم إنما هو الذي يمتلك أكبر قدر من الثروة، هذا في رأيه ما أدى بالعمال إلى المطالبة

بالعدالة وحقهم في أن يعملوا ما يرغبون فيه على الرغم من أنهم لا يمتلكون المعرفة والثقافة التي تؤهلهم، وبالتالي فقد نتجت هذه الأزمة في الفكر والثقافة الحقيقية التي تعطي للإنسان قيمته وترقى به إلى درجات من الكمال الإنساني عن غياب معيار المعرفة كأساس للحراك الاجتماعي في السلم الاجتماعي وظهور معيار النفوذ، السلطة والثروة فسبب ذلك ظهور اللامعيارية عند الطبقة العاملة التي على الرغم من أنها الأقل ثقافة فهي تطالب بعمل ما تحب لغياب الوعي بأهمية الثقافة والمعرفة في الإنتاج والتركيز على الإنتاج ذاته والماكنة كأساس للإنتاج و بما أنها ترى نفسها الأقدر على تسيير الآلات والإنتاج فإنها رأت أن لها الحق في اختيار ما تحب من عمل، ومن ذلك تكون الاتجاهات اللامعيارية عند ارنولد تنتج من إغفال وتهميش الجانب الفكري والمعرفي للثقافة كمعيار للسلم الاجتماعي والحياة الاجتماعية ككل، لذا يجب أن تصبح المراكز الاجتماعية تستحق بالمعرفة، ونبه ارنولد إلى خطورة المساواة بين الثروة والحضارة لأن فهي لا تحمي المجتمع من خطر التفكك وظهور الاتجاهات اللامعيارية بقدر المعرفة والفكر لذا دعا ارنولد إلى ضرورة تثقيف الطبقة العاملة لأنها دون ثقافة لا تسهم في تطوير المجتمع بل في تفككه (أورد في: هولبورن، 2010) .

ويرى غليون (1986) أن من أهم أسباب الأزمة الثقافية بالواقع الثقافي العربي هو تدمير منظومة القيم والمعايير المشكلة للوحدة الاجتماعية نتيجة الانتقال من الطابع التقليدي للمجتمعات إلى الطابع الحداثي الذي استبدل التوازن الثقافي التقليدي بتوازن اقتصادي هش مما سهل عملية الدمج الثقافي للمجتمعات العربية ضمن الثقافة الغربية وذلك بتراجع المنظومة القيمية الأولى في نسق القيم لتحل محلها منظومة القيم الاقتصادية الاستهلاكية والوقتية التي لا تحقق وحدة بقدر ما تخلق تنافرا وصراعا فكانت الأزمة الثقافية نتاج اتخاذ النخبة نماذج التوازن الغربية بديلا عن التوازن الثقافي للمجتمعات التقليدية القائم على التواصل بين العقل المثقف والجماهير وترسيخ منظومة ثقافية تعزز الوحدة وعوضها بمنظومة جديدة قائمة على التوازن الاقتصادي جعلت المجتمعات العربية تصبح نسخة مشوهة للمجتمعات الغربية باتجاهاتها القيمية والمعيارية ، ومنه سبب تشتت هوياتي للنخبة واغترابا روحيا للجمهور؛ كما ذهب غليون إلى أن الصراع القيمي الذي أنتجه صراع المرجعيات الثقافية التقليدية والحداثية داخل المجتمعات العربية سبب غياب نظام قيمي مرجعي مشترك على جميع الأصعدة الثقافية كالعادات والتقاليد وغيرها فظهر الصراع من أجل السلطة والأهواء والمصالح الفردية وغاب أي معنى في الحياة الاجتماعية حيث فقدت كل من القيم التقليدية والحداثية تماسكها على السواء وانعكس ذلك على غياب الفاعلية والمعنى من جميع الأنشطة والفعاليات الاجتماعية والتوجه نحو السلطة والهيمنة والقوة كوسائل لتحقيق المكانة ، فلم تعد إلا السلطة قيمة ممكنة ، كما تحول الرأس المال الثقافي إلى تجارة عند النخبة وزال التفكير والإنتاج الثقافي الجاد وساد فكر احتكار الثقافة كوسيلة للسلطة والهيمنة والمال.

يوجد ذلك اللاعدالة الاجتماعية في توزيع الثروات وهو ما يخلق سوء الأوضاع الاقتصادية التي قد تقود الفرد إلى البطالة والعيش على هامش المجتمع خاصة إذا كان المجتمع يقيم الفرد وفق معايير لا ترتبط بالخبرة أو درجة التأهيل بقدر ما تتعلق بالمحاباة والعلاقات الشخصية يقول محمود عبد الفضيل: "عندما يجد هؤلاء الذين لا يعملون زملاءهم يعملون لا لسبب إلا أنهم يمثلون ما أطلق عليه البعض رأس المال الرمزي الممثل في رأسمال اجتماعي أو ثقافي أو صلات والتي تتيح للفرد أن يحصل على وظيفة معينة لا يستطيع غيره الوصول إليها فإن ذلك تكون انعكاساته على انتماءات الفرد وولائه"، فذلك من شأنه أن يوجد فردا ناقما على المجتمع ولا يقيم لمعاييره وزنا نتيجة الشعور بالظلم فيفقد الانتماء إلى المجتمع وثقافته ويمكن أن يتحول إلى عنصر هدم فيه وتظهر عليه أعراض الأزمة الثقافية من اللامبالاة والعجز الثقافي وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، كذلك يمكن أن يؤدي سوء الأوضاع الاقتصادية في المجتمع إلى أن يسود اختيار العمل على أساس الصدفة بدافع الحاجة وعدم مناسبة العمل للقدرات ما يسبب سوء التوافق المهني(أوردفي: السيد و حافظ، 2009).

- **الأزمة التربوية وظهور الاتجاهات المتعارضة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية:**أشار عمار (د.ت) بأنّ الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية المستقلة حديثا أدّى إلى تبنى مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخلها اتجاهات إيديولوجية وفكرية متعارضة ولا يتم التنسيق فيما بينها من أجل إيجاد ثقافة مشتركة يتم تنشئة الأجيال الجديدة وفقها إلى حدوث أزمة ثقافية، فمثلا وجود مؤسسات التنشئة الدينية والمدارس الخاصة الأجنبية والمدارس العامة بما تتبناه كل منها من أهداف وما تبنى عليه من إيديولوجيات يمكن أن توجد الإرباك داخل المجتمع وداخل ذات الفرد الذي قد يدفعه التعارض والتناقض بين معايير السلوك الواجب الالتزام بها والقيم التي يأخذها كأهداف إلى الانسحاب من المجتمع ومن الحياة الاجتماعية أو إتباع معايير مضادة للمجتمع بأكمله وتبني أهداف لا تخدم صالح المجتمع ولا تنتمي لثقافته فتضعف مقومات الثقافة المشتركة في اتجاهات وتطلعات الأجيال الجديدة ويصبح الفرد منهم يعيش ضمن ثقافة لا ينتمي لها إلا جغرافيا.

يضيف الحروب (2014) بأنّه يمكن أن تكون طبيعة المناهج التربوية المتعارضة في اتجاهاتها الفكرية والمعيارية مصدرا للأزمة الثقافية إذا كانت منتجة للعجز الثقافي حينما لا ترتبط أهدافها بالوصل بين الفرد وواقعة الاجتماعي بل تتعلق بتلقينه مجموعة من المعارف والمعلومات التي لا يدري لها علاقة بواقعه المعاش، فالمناهج التي تعمل على تنمية العقل التحليلي الذي يقدر على إنتاج الأفكار والمعاني والنقد البناء لما يتلقاه من معارف تستطيع أن تقاوم العجز الثقافي، أما التي لا تقوم إلا على استظهار وتلقين مجموعة من المعلومات فإنها ستؤدي لا محال إلى نفور الفرد من الدراسة والمدرسة فلا تعود تأثر في توجيهه وتربيته التربية السليمة، أي لا تنتج عقولا متفتحة على المعارف بقدر ما هي عقول عاجزة عن التفكير بل أكثر من ذلك ترى فيه ترفا زائدا عن حاجاتها، فالطفل بحسب ما يتلقى من تربية وتعليم ينشئ

ليمثل ما تلقاه، وحالة العجز الثقافي تعبر بالدرجة الأولى عن عجز في المناهج التربوية إما لخلل معين في الطريقة أو في المضـمون، فالمدرسـة هي المكان الذي يقضـي في الطفل جل وقته لذا تعد مسـؤولة بالدرجة الأولى عن الهوية الثقافية للمجتمع ومدى وضوحها في أذهان الأجيال الجديدة.

ويتمثل المظهر الفكري للأزمة الثقافية عند **ارنولد** في ظهور العجز عن إنتاج الأفكار والمعاني والتجديد فيهما، واللامبالاة بالقراءة والتعليم في مقابل الجانب المادي للثقافة، حيث ذهب **ارنولد** إلى أن أهم مظاهر الأزمة الثقافية في المجتمع البريطاني في القرن 19 هو التركيز على الحياة المادية وجمع الثروة في مقابل إهمال الجانب الفكري حتى أصبحت الحضارة توازي الثروة والإنسان المتحضر ليس من يملك مقدارا رفيعا من المعرفة بأفضل المعتقدات السائدة في العالم إنما هو الذي يمتلك أكبر قدر من الثروة، هذا في رأيه ما أدى بالعمال إلى المطالبة بالعدالة وحقهم في أن يعملوا ما يرغبون فيه على الرغم من أنهم لا يمتلكون المعرفة والثقافة التي تؤهلهم، وبالتالي فقد نتج عن هذا الاغتراب عن الفكر والثقافة الحقيقية التي تعطي للإنسـان قيمته وترقى به إلى درجات من الكمال الإنسـاني غياب معيار المعرفة كأسـاس للحراك الاجتماعي في السلم الاجتماعي وظهور معيار النفوذ ، السلطة والثروة فسبب ذلك ظهور اللامعيارية عند الطبقة العاملة التي على الرغم من أنها الأقل ثقافة فهي تطالب بعمل ما تحب لغياب الوعي بأهمية الثقافة والمعرفة في الإنتاج والتركيز على الإنتاج ذاته والماكنة كأساس للإنتاج و بما أنها ترى نفسها الأقدر على تسيير الآلات والإنتاج فإنها رأت أن لها الحق في اختيار ما تحب من عمل(أورد في: هولبورن، 2010).

كما أن حالة التضـارب في المرجعيات الثقافية والتعدد في الاتجاهات القيمية والمعيارية داخل هذه المجتمعات من شأنه أن يولد داخل أفراده الغموض الذي يقودهم إلى أحد طرفين فإما أن يفقدوا المعنى في الحياة الاجتماعية فينسحبوا منها أو قد يقودهم ذلك الغموض في المرجعية التي يبنون من منطلقها هويتهم وانتمائهم إلى اللجوء للتطرف بالانتماء إلى أحد الاتجاهات السـائدة بالقبول المطلق والرفض لباقي الاتجاهات رفضـا مطلقا انطلاقا من تقسـيمات غاية في التبسـيط كآلية لمواجهة الغموض، لأن غموض التوقعات والمعايير الاجتماعية تجعل الفرد يعيش حالة صـراع نفسـي ويغلب عليه الخوف من المسـتقبل، فيعجز عن اختيار السـلوك المناسـب لكل موقف وعن اتخاذ القرارات فيظل في حالة خوف مسـتمر من الفشل ولا يستطيع إشباع حاجته لتقدير الذات الأمر الذي يمكن أن يدفعه إلى الانتماء لجماعة معينة على أسـاس قوتها في المجتمع مثلا ليحقق المكانة والتقدير لذاته ويجد هوية مميزة من خلال الجماعة التي يتعصب لها، والأفراد ليس لديهم القدرة النفسية ذاتها التي تجعلهم يستطيعون مواجهة القلق والصراع النفسي والاضـطراب الناتج عن الغموض في بيئتهم الثقافية والاجتماعية بإيجابية، وقد ذهب أبراهام ماسـلو إلى وضـع الحاجة إلى الانتماء في المسـتوى الثالث من هرم الحاجات فرأى أنه لا يمكن تحقيقها في مجتمع يتسـم بالتغير السـريع أين لا يمكن للفرد أن يحقق الأمن، فالانتماء حاجة طبيعية عند جميع الأفراد لكنها

يمكن أن تتحول إلى حالة مرضـــية إذا عجز الفرد عن تحقيق حاجة الأمن(أورد في: توفيق قمر وآخرون، 2008).

❖ **خاتمة:** وفي الختام يمكن التوصل إلى نتائج منها أن الفكر العربي الإسلامي مرّ في تشكله بمجموعة من المراحل التاريخية التي كان لها دور بارز في تحديد خصوصيته الاجتماعية وهويته الثقافية خلال ما مر به من مراحل قوة فكرية وثقافية واجتماعية انتهاء إلى مرحلة الضعف أين صار يعرف بالرجل المريض في نهاية الخلافة العثمانية قبل الاصطدام بالغرب وسياسته الاستعمارية أين عرف جملة من التحولات بقصد وعن غير قصد إبان الاستعمار الغربي التي أثرت بصورة مباشرة وغير مباشرة في تحديد خياراته الفكرية والثقافية لبناء وجوده الجديد بعد مرحلة الاستعمار التقليدي وبداية الاستعمار الثقافي الفكري من خلال آليات العولمة التي تجاوزت تأثيرها الاقتصادي إلى التأثير الفكري الثقافي وعلى الرغم من محاولات الاختراق الثقافي التي تتعرض لها الثقافة العربية الإسلامية إلا أنها باستمرار تثبت صمودها في وجه كل التيارات التغريبية التي تحاول استئصالها من منبتها وإنهاء وجودها في مقابل ترسيخ معالم الحاضرة الغربية المادية، غير أن هذا الاختراق الثقافي كان له تداعياته على الواقع الثقافي بالمجتمعات العربية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ✓ **أزمة الهوية:** وتشمل هذه الأزمة تشتت مقومات الهوية الثقافية خاصة لدى الأجيال الجديدة التي ظهرت في صورة انفصال بين عالم الدلالة والتصورات وسلوكياتهم بالواقع الاجتماعي الذي يتباين حسب المواقف بين التقليدي والحداثي، إضافة إلى ذلك تعبر الأزمة التربوية التي أوجدت اتجاهات معيارية متعارضة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية عن مشكلة ثقافية حقيقية تب غموض التوقعات الاجتماعية وتشتت السلوكيات الاجتماعية للأفراد.
- ✓ **أزمة الفاعلية:** أوجدت الأزمة السابقة عجزا في هذه المجتمعات لإيجاد مشروعها المجتمعي انطلاقا من معادلتها الاجتماعية، ناهيك عن مشكلة الانسحاب الاجتماعي وضعف الفاعلية لأفرادها في تحقيق التنمية وتنامي الاتجاهات التعصبية والصراعات الفئوية المفتعلة لغرض المصلحة الاستهلاكية الاقتصادية الضيقة.
- ✓ **أزمة الثقة:** أوجد ضعف فاعلية الثقافة العربية المخترقة والمشتتة في إبداع واقعها الخاص المميز والقادر على إشباع حاجيات أفرادها إلى نوع من أزمة الثقة في هذه الثقافة ومخرجاتها وجدارتها بالتبني والانتماء لها كمنطلق واقعي في دفع عجلة التنمية خاصة لدى الشباب العربي.

وتأسيسا على ذلك صار من الضروري التركيز على بناء مؤسسات تنشئة اجتماعية قادرة على صناعة الثقافة كوعي مشترك داخل الجماعة لا يشمل فقط الجانب الواعي من الثقافة المشتركة

ولكن يشمل الجانب اللاواعي أيضا، والعمل على الاستثمار في التربية الاجتماعية من أجل تحويل الثروات الاجتماعية (الفكرية، المادية والبشرية) من ثروات معطلة إلى رأس مال اجتماعي قابل للتداول والبناء وكذا التأسيس لإرادة سياسية واجتماعية تتجاوز الطابع الاستهلاكي لمنتجات الحضارة الغربية إلى إرادة فاعلة تعمل على الاستثمار بالمعادلة الاجتماعية للهوية الثقافية بالمجتمعات العربية من أجل الانطلاق بالمشروع الثقافي النهضوي لها، وكذا تعزيز مكانة النخبة الاجتماعية في التأسيس لمشروع مجتمعي قادر على التأسيس لبناء ثقافي متجانس في مكوناته وقادر على مواكبة التحولات الثقافية العالمية دون الخروج عن مقومات هويته الأساسية.

❖ قائمة المراجع:

1. تي. هول، ادوارد(2007).اللغة الصامتة، تر: لميس فؤاد اليحيى. بيروت:الأهلية للنشر والتوزيع.
2. جيوفيري، نويل سميث وكينتين، هور(1991). غرامشي وقضايا المجتمع المدني. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
3. حامد عمار(د.ت). دراسات في التربية والثقافة: من همومنا التربوية والثقافية. د.ب: مكيبة الدار العربية للكتاب.
4. طالة، لمياء(2014). الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي. الأردن:دار أسامة للنشر والتوزيع.
5. غليون، برهان،(1986). مجتمع النخبة.بيروت: معهد الإنماء العربي.
6. فيذرستون، مايك (د.ت). ثقافة العولمة – القومية والعولمة والحداثة–، تر: عبد الوهاب علوب، سلسلة الفكر. مصر:المجلس الأعلى للثقافة.
7. أبو شعيرة، خالد محمد(أبريل, 2013). الاغتراب في النسق التعليمي لدى الشباب الجامعي في ضوء بعض المتغيرات. مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات التربوية والنفسية، الصفحات 134-99.
8. كامل سقاوي، عمر(1988) . وحدة الحضارة. دمشق:دار الفكر.
9. ليكلرك، جيرار (2004). العولمة الثقافية: الحضارات على المحك. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
10. ليلة، علي(2012). اختراق الثقافة وتبديد الهوية. مصر:مكتبة الأنجلو المصرية.
11. ماتلار، آرمان(2008). التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل. لبنان: دار الفارابي.
12. هدهود، حورية(2012). الاغتراب النفسي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح(مذكرة ماجستير). الجزائر: جامعة المسيلة.
13. هوبر، بول(2011) .نحو فهم للعولمة الثقافية، تر: طلعت الشايب. مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب.
14. هولبورن، هارلمبس(2010). سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، ط1، دمشق:دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
15. وابل، نعيمة(2013). الاغتراب عند كارل ماركس: دراسة تحليلية نقدية. د.ب: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
16. الحروب، زهير(2014). ثقافتنا التربوية: بين التخلف والتغريب والعولمة. الأردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.
17. الحمد، تركي(1999) . الثقافة العربية في عصر العولمة. لبنان: دار الساقي.
18. السيد، طارق، وحافظ، أنوار(2009). المشكلات الاجتماعية في المجتمع المعاصر: مشكلات الإسكان، تلوث البيئة، التطرف، الإدمان، البطالة. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
19. أمين، جلال (2009). العولمة. مصر: دار الشروق.
20. أنور، الجندي(د.ت). معالم الفكر العربي المعاصر: مع دراسة من الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب. د.ب:مطبعة الرسالة.
21. بن نبي، مالك(2002). مشكلات الحضارة:مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر.
22. توفيق قمر،عصام(2008). المشكلات الاجتماعية المعاصرة: مداخل نظرية، تجارب عربية، أساليب المواجهة. الأردن: دار الفكر ناشرون وموزعون.
23. تومي، الخنساء(2017).دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي(أطروحة دكتوراه علوم)، بسكرة، الجزائر: جامعة محمد خيضر.